مفهوم الجدل في منهج مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

المدرس الدكتور
ثامر عبد المهدي التميمي
الجامعة الإسلامية ـ كلية العلوم الإسلامية

مقدمة:

عاش الإمام الصادق عليه السلام في فترة حرجة وحالكة فيها تغيرات سياسية واجتماعية كبيرة ومن ناحية أخرى نجد على الصعيد العلمي والثقافي التغير الذي وجد بعد الفتوحات الإسلامية ودخول كثير من الأمصار في الإسلام صار هناك على أثرها انتشار لمدرستين في الأوساط الإسلامية، وهما مدرستا الرأي والحديث، وقد كان لكل واحدة من المدرستين منهجية مختلفة عن منهجية المدرسة الأخرى، كما أن لكل واحدة منهما مقوماتها التي تميزها عن الأخرى، ولا يخفى أن وجود هاتين المدرستين يجعل التصور الأول لكل من يقرأ أو يسمع بذلك أن جميع المسلمين كانوا منطوين تحت إحداهما، بحيث لا يتصور وجود مسلم إلا ويكون منضماً لواحدة منهما، ومتبنياً للمنهج المقرر فيها. وقف الإمام عليه السلام في مقابل هذه الرؤى وراح يفند أراءهم وأفكارهم ويجاهد على جميع الأصعدة من أجل إظهار المعنى الحقيقي للدين وعدم المساس به رغبة لإرضاء حاكم أو ميل لهوى، وأستعان بطلبته الذين راحوا ينشرون المعنى الحقيقي للإسلام وشرحه معالمه.

ولذلك فليس من المستغرب أن يكون الإمام الصادق عليه السلام قبلة المتعلمين والباحثين، وأن يكون أيضاً المرجع الإسلامي العام في عصره إذ إن أقواله وأحكامه حجة وكذلك الحال بالنسبة إلى أعماله، ومن هنا يمكننا أن نتصور حقيقة منزلته إذ تنبأ الرسول الأعظم بقدومه من صلب الإمام الحسين عليه السلام فقال عنه واصفاً إياه: (جعفر صادق في قوله وفعله. الطاعن عليه كالطاعن عليَّ، والراد عليه كالراد عليَّ)[1].

ومن الجدير ذكره أن الهيكلية الفكرية والمنظومة العقائدية في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام لاقت عظيم الأثر عند الكثيرين من العلماء والمفكرين والعظماء في العالم الغربي، وقد رأى العديد منهم أنه قد قدّم للبشرية جمعاء من العلوم الدينية والدنيوية الشيء الكثير

والذي يعجز القلم واللسان عن وصفه، وقد أثبت العلماء أن هناك مقولات وأفكارا في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ذات علاقة وثيقة بفهم الطبيعة، إن الوصول للمعرفة الحقة يجب على السالك أليها انتخاب طرق معينة أغلب الأحيان تكون مرسومة من قبل السماء لكي لا يحتج الإنسان على الباري بأن لم تكن لديه الوسيلة حتى يصل بها الى معرفته، وعليه إن المعرفة الحقة إنما تتأتى عن طريق المفاهيم العقلية الكلية والأقيسة البرهانية، والأدلة القطعية بغية الوصول الى النتائج اليقينية، ولكن بالرغم من يقينية نتائج هذا الطريق إلا أن كثيراً من أهل النظر ولا سيما الإسلاميين منهم لم يعتمدوا على هذا الطريق البرهاني بل لجأوا في كثير من المسائل الخطيرة إلى طريق الجدل فوضعوا له حدوداً وقيوداً جعلوها معياراً وميزاناً للتعامل مع مسائله المتشعبة .

ولكن مما يؤسف له أن كثيراً منهم لم يلتزم بقواعد الجدل الصحيحة، فلجأوا إلى أساليب جدلية ركيكة هي بالمغالطات أشبه، فخلطوا الغث بالسمين، وإن شئت قلت الحق بالباطل، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر مسألة وجوب المعرفة، فهناك من أوجبها سمعاً مع أنه يستلزم الدور المحال ؛ لأن معرفة الإيجاب تتوقف على معرفة الموجب، فإن من لا نعرفه بشيء من الاعتبارات البتة لا نعلم أنه أوجب ضرورة، فلو استفيدت معرفة الموجب من معرفة الإيجاب للزم الدور المعلوم البطلان ضرورة ولما كان باب الجدل مفتوحاً - أعني الجدل الذي لم يرتقي إلى مستوى القواعد الصحيحة - حاولوا التخلص من لزوم الدور، فقالوا بأن المعرفة إنما تجب بنفس الأمر، وهو محال أيضاً ؛ لأن الأمر بالمعرفة إما أن يتوجه إلى العارف أو إلى غير العارف وكلاهما باطل، أما بطلان الأول، فلأنه يلزم منه تحصيل الحاصل وهو محال، وأما بطلان الثاني، فلأن غير العارف يستحيل أن يعرف وإذا استحال أن يعرف استحال أمره بوجوب المعرفة، وإلا لزم التكليف بما لايطاق وهو محال ضرورة، لأجل هذا وما يجري مجراه لجأ المجادلون بالحق إلى الاعتماد - فضلاً عن اعتمادهم على المقدمات اليقينية والأقيسة القطعية - على المقدمات التي يسلم بها المناظر سواء أكانت حقاً أم لا، لأن غاية المجادل إفحام الخصم وإلزامه بما يسلم به لا الحق بما هو حق، لذلك كان الجدل أعم من البرهان من جهة الصورة، فالمجادل قد يستعمل البرهان وقد يستعمل معه غيره من الحجج كالاستقراء والتمثيل، وعلى هذا الأساس انطلقت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الجدلية فرسمت لها منهجاً واضحاً يرتكز بالأساس على البرهان والأدلة

اليقينية والملازمات العقلية، والحجج الإلزامية بحسب المنهج الذي رسمه الإمام الصادق عليه السلام لتلامذته ومن تلاهم، ليس من المبالغة والخروج عن الواقع وصف مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بأنها جامعة إسلامية، خلفت ثروة علمية، وخرجت عددا وافرا من رجال العلم وأنجبت خيرة المفكرين، وصفوة الفلاسفة وجهابذة العلماء وقد عدت أسماء تلامذته والمتخرجون من مدرسته فكانوا: أربعة آلاف رجل.

تعريف بالإمام الصادق عليه السلام

١- ولادته ألقابه والنص على امامته:

(ولد أبو عبد الله عليه السلام سنة ثمانين وقيل ثلاث وثمانين، ومضي عليه السلام في شوال من سنة ثمان واربعين ومائة، وله خمس وستون سنةً، ودفن بالبقيع، مع أبيه وجدّه وعمّه الحسن بن عَلِيّ عليه السلام، وأمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، كانت إمامته أربعاً وثلاثين سنةَ)[٢]. قال ابن شهر آشوب (أقام مع جدّه اثنتي عشرة سنة، مع أبيه تسع عشرة سنةَ وبعد أبيه أيّام إمامته أربعاً وثلاثين سنة، وكان في سنّي إمامته مُلك إبراهيم بن الوليد، ومروان الحمّار، ثّم سارت المسوّدة من أرض خراسان مع أبي مسلم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وانتزعوا الملك من بني أمية، وقتلوا مروان الحمّار، ثمّ ملك أبو العباس السفّاح أربع سنين وستّة أشهر وأيّاماً، ثمّ ملك أخوه أبو جعفر المنصور إحدى وعشرين سنةً وأحد عشر شهراً وأياماً،وبعد مضيّ سنتين من مُلكه قبض في شوّال سنة ثمان وأربعين ومائة)[٣] أما ألقابه فعن الثمالي، عن عَلِيّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عَلِيّ بن الحسين بن عَلِيّ بن أبي طالب فسموه الصادق، فانه سيكون في ولده سمي له، يدعي الإمامة بغير حقّها، ويسمى كذّابا)[٤]. عن أبي نضرة قال: (لما احتضر أبو جعفر محمّد بن عَلِيّ الباقر عليه السلام عند الوفاة، دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهدا فقال له أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو امتثلت في تمثال الحسن والحسين عليهما السلام رجوت أن لا تكون أتيت منكرا فقال له: يا أبا الحسين إن الامانات ليست بالمثال، ولا العهود بالرسوم، وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله عزّوجلّ)[٥].

٢- مكارم أخلاقه: هو من سلالة النبوة ومعدن الوحي يحمل ملكات وسمات تفوق تصور البشر، وخُلقهُ خُلق القرآن صفاته نابعة ومتصلة ومرتبطة بما حوته الرسالة

الآلهية، (عن محمَّد بن زياد الأزدي قال: سمعت مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل إلى الصادق جعفر بن محمَّد عليه السلام فيقدم لي مخدة، ويعرف لي قدرا ويقول: يا مالك إني احبُّك، فكنت أَسرُّ بذلك وأحمد الله عليه، قال: وكان عليه السلام رجلا لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائما، وإما قائما، وإما ذاكرا، وكان من عظماء العباد، وأكابر الزهاد الذين يخشون الله عزّوجّل، وكان كثير الحديث، طيِّب المجالسة، كثير الفوائد، فاذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اخضرّ مرة، واصفرّ أخرى حتى ينكره من كان يعرفه، ولقد حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلماهم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخر من راحلته فقلت: قل يا ابن رسول الله، ولابد لك من أن تقول، فقال: يا ابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبيك اللّهمَّ لبيك، وأخشى أن يقول عزّوجّل لي: لا لبيك ولا سعديك)[٦].

٣- **ما قيل في الإمام الصادق عليه السلام:** الامام الصادق عليه السلام نبراس هذه الامة، وحجة الله تعالى عليهم وهو فوق وصف الواصفين، ومهما قيل في شأنه عليه السلام يبقى اللسان قاصراً عن الإحاطة بكلّ أبعاد شخصيته عليه السلام، ولنعم ما قال ابن داود الحلّي: (جعفر بن محمَّد بن عَلِيّ بن الحسين بن عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام...الإمام الصادق عليه السلام، لا تتّسع الصحف ذكر مناقبه، وعلوّ مناقبه، فالأدب يقتضي الوقوف دونها)[٧] . ونجد مالك بن أنس (١٧٩هـ) يقول: (ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادةً وورعاً وقال: أختلفتُ إليه زماناً فما كنتُ أراه إلاّ على ثلاث خصال: إمّا مصلٍّ، وإمّا صائم، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلاّ على طهارة)[٨] . وكذلك ذكره الحافظ شمس الدين الذهبي(٧٤٨هـ) بقوله: (جعفر بن محمَّد بن عَلِيّ ابن الشهيد الحسين بن عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام الهاشمي الامام، أحد السادة الأعلام وابن بنت القاسم بن محمَّد، وأم أمه هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فلذلك كان يقول: ولدني أبو بكر الصدّيق مرتين، حدث عن جده القاسم وعن أبيه أبي جعفر الباقر)[٩]. إلى غير ذلك من كلمات تصدر من هنا وهناك، علماً أن المعرّف لا يعرّف ولكن جرياً على السياق.

تعريف الجدل لغة واصطلاحاً:

حينما نتعرض لموضوع الجدل لابد قبلها من تعريفه لغة واصطلاحا لكي نطلع بشكل عام عن هذه المفردة في المعاجم اللغوية ونرى كيف وظفتها مدرسة الامام الصادق عليه السلام في الكشف والبيان عن الحقيقة والحق.

الجدل لغةً: الأصل في هذه المادة، وهو شدّة الفتل، وكذا في سائر اللغات السامية، يقال: جَدَلتُ الحَبْلَ أجدُلُه وأجدِلُه جَدْلاً، أي شدَدتُ فَتلَه وفتلتُه فتلاً محكماً. والجَديل: الزّمام أو الحبل المفتول من أَدم أو شعر والجمع: جُدُل. جاء ذكر في القرآن الكريم فعلاً ماضياً ٤ مرّات ومضارعاً ١٦ مَرَّة وأمراً مرة ونهياً مرّتين ومصدراً ٤ مَرَّات فالمجموع ٢٧ آية، يلاحظ أولاً: أن المادة أصلها فتل الحبال ثم توسعت الى غيرها ثمّ استعيرت لفتل الكلام وشاعت فيه حتّى أشبه الحقيقة ونُسي أصلها، هذا في أصل اللغة أمّا في القرآن فلم يأت إلاّ بهذا المعنى المستعار والغالب عليه أنّه عمل مذموم وقد أكّد بهذه الآيتين: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[١٠] ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[١١] وغيرها من الآيات[١٢].

معنى الجدل لغةً: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي: خاصمه، مجادلة وجدالًا. والجدل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدالُ: الخصومة؛ سمي بذلك لشدته [١٣].

الجدل اصطلاحاً: (الجدل صناعة تمكن الإنسان من إقامة الحجج المؤلفة من المسلمات أومن ردها بحسب الإرادة ومن الاحتراز عن لزوم المناقضة في المحافظة على الوضع)[١٤].

وقال الراغب: الجِدَال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة [١٥]، وقال الجرجاني: الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه[١٦] وقال أيضًا: الجدال: هو عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها[١٧].

وأعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد الطرق الثلاثة وهي:

الحكمة، الموعظة الحسنة، المجادلة بالطريق الأحسن.

(أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد أن تكون مبنية على حجة وبينة، والمقصود من

ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإما أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه.

أما القسم الأول: فينقسم أيضا إلى قسمين: لأن الحجة إما أن تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض. وإما أن لا تكون كذلك، بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر والإقناع الكامل، فظهر بهذا التقسيم إنحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة.

أولها: الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك هو المسمى بالحكمة،وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات.

وثانيها: الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية وهي الموعظة الحسنة.

وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم. وذلك هو الجدل)[١٨].

أقسام الجدال: من التعاريف السابقة يتضح ان هناك نوعين من الجدل:

١- جدال بالحق: وهذا هو المأمور به، وعليه المعول في بيان الحقيقة والكشف عنها.

٢- جدال بالباطل: وهو المنهي عنه، ويكون تابعا لجهل أو لمصحة أو لتقليد.

قال أبو جعفر عليه السلام: الجدال في الله منهي عنه، لأنه يؤدي إلى ما لا يليق به[١٩].

وروي عن الصادق عليه السلام: أنه قال: يهلك أهل الكلام وينجو المسلمون[٢٠].

قال أبو عبد الله الشيخ المفيد: الجدال على ضربين: أحدهما بالحق، والآخر بالباطل، فالحق منه مأمور به ومرغب فيه، والباطل منه منهي عنه ومزجور عن استعماله[٢١].

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٢] فأمر بجدال المخالفين وهو الحجاج لهم، إذ كان جدال النبي صلى الله عليه وآله حقا، وقال تعالى للمسلمين كافةً: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٣] فأطلق لهم جدال أهل الكتاب بالحسن، ونهاهم عن جدالهم بالقبيح، وحكى سبحانه عن قوم نوح عليه السلام ما قالوه في جدالهم، فقال سبحانه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[٢٤] فلو كان الجدال كله باطلا لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله به، ولا استعمله الأنبياء عليهم السلام

من قبله، ولا أذن للمسلمين فيه.

فأما الجدال بالباطل:فقد بين الله تبارك وتعالى عنه في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[٢٥] فذم المجادلين في (آيات الله) لدفعها أو قدحها وإيقاع الشبهة في حقها.

وقد ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه حاج كافرا في الله تعالى فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[٢٦] وقال مخبرا عن حجاجه قومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٢٧] وقال سبحانه آمرا لنبيه صلى الله عليه وآله بمحاجة مخالفيه: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[٢٨] وقال لنبيه صلى الله على وآله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[٢٩] وما زالت الأئمة عليهم السلام يناظرون في دين الله سبحانه ويحتجون على أعداء الله تعالى. وكان شيوخ أصحابهم في كل عصر يستعملون النظر، ويعتمدون الحجاج ويجادلون بالحق، ويدمغون الباطل بالحجج والبراهين، وكان الأئمة عليهم السلام يحمدونهم على ذلك ويمدحونهم ويثنون عليهم بفضل، وقد ذكر الكليني رحمه الله حديث يونس بن يعقوب مع أبي عبد الله عليه السلام حين ورد عليه الشامي لمناظرته، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: (وددت أنك يا يونس كنت تحسن الكلام، فقال له يونس: جعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأهل الكلام، يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت ويل لهم إذا تركوا قولي وصاروا إلى خلافه، ثم دعا حمران بن أعين ومحمّد بن الطيار، وهشام بن سالم وقيس الماصر فتكلموا بحضرته،وتكلّم هشام بعدهم فأثنى عليه ومدحه وقال له:مثلك من يكلّم الناس)[٣٠].

وقال عليه السلام وقد بلغه موت الطيار:(رحم الله الطيار ولقاه نضرة وسرورا، فلقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت)[٣١] وقال أبو عبد الله عليه السلام لبعض أصحابنا: (حاجوا الناس بكلامي، فإن حجوكم فأنا المحجوج)[٣٢] وقال لهشام بن الحكم وقد سأله عن أسماء الله تعالى واشتقاقها فأجابه عن ذلك، ثم قال له بعد الجواب: (أفهمت يا هشام فهما تدفع به أعداءنا الملحدين في دين الله وتبطل شبهاتهم ؟ فقال هشام: نعم، فقال له: وفقك الله)[٣٣]. وقال عليه السلام لطائفة من أصحابه: (بينوا للناس الهدى الذي أنتم عليه، وبينوا لهم [ضلالهم الذي هم عليه] وباهلوهم في علي بن أبي طالب عليه السلام)[٣٤] فأمر بالكلام ودعا إليه وحث

عليه، وروي عنه عليه السلام أنه نهى رجلا عن الكلام وأمر آخر به، فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك، نهيت فلانا عن الكلام وأمرت هذا به ؟ فقال: هذا أبصر بالحجج، وأرفق منه فإثبات نهي عن الكلام إنما كان لطائفة بعينها لا تحسنه ولا تهتدي إلى طرقه وكان الكلام يفسدها، وأمر جماعة بالكلام لأنها تحسنه وتعرف طرقه وسبله.

فأما النهي عن الكلام في الله تعالى إنما يختص بالنهي عن التشبيهه بخلقه وتجويره في حكمه وأما الكلام في توحيده ونفي التشبيه عنه والتنزيه له والتقديس، فمأمور به ومرغب فيه، وقد جاءت بذلك آثار كثيرة وأخبار متظافرة [٣٥].

وكذلك الذم من أخذ الكلام من آثار كلام الرجال والتقليد الغير من بدون فحص و تريُّث، قال الله تعالى ذاكرا لمقلدة من الكفار وذاما لهم على تقليدهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣٦] وقال الإمام الصادق عليه السلام: (من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل)[٣٧].

وقال عليه السلام: (إياكم والتقليد، فإنه من قلد في دينه هلك، إن الله تعالى يقول: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣٨] فلا والله ما صلوا لهم ولا صاموا، ولكنهم أحلوا لهم حراما، وحرموا عليهم حلالا، فقلدوهم في ذلك، فعبدوهم وهم لا يشعرون)[٣٩].

وقال عليه السلام: (من أجاب ناطقا فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان)[٤٠].

على هذا فالجدال منه ما يؤيده العقل والدين ويدعوان إليه ومنه رفضه العقل والدين وعليه ينقسم الجدل الى قسمين هما:

١- الجدال المحمود: أن يكون دليلا مركَّبا من مقدمّات مسلمة في المشهور عند الجمهور، أو من مقدمّات مسلمة عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن[٤١]. أي يكون الغرض منه تقرير الحقّ، وإظهاره بإقامة الأدلة والبراهين

على صدقه، وقد جاءت نصوص تأمر بهذا النوع من الجدال، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بهذا الجدال في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤٢] وقال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[٤٣].

٢- الجدال المذموم: أن يكون ذلك الدليل مركّبا من مقدمات باطلة فاسدة إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب، والحيل الباطلة، والطرق الفاسدة[٤٤] يكون غرضه تقرير الباطل بعد ظهور الحقّ، وطلب المال والجاه، وقد جاءت الكثير من النصوص والآثار التي حذّرت من هذا النوع من الجدال ونهت عنه، ومن هذه النصوص: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[٤٦] وقوله سبحانه: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾[٤٧].

٣- معنى المراء لغةً: المراء: الجدال. والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشكّ والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة، وماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته[٤٨] المراء اصطلاحًا: المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير[٤٩].

الجدل فى القرآن الكريم:

من المعلوم بان الحقائق الكونية وغيرها ظاهرة جلية يمكن للإنسان الاحساس بها ولمسها، ومن بداهتها لا يحتاج الى برهان لإثباتها ولا التوغل في ثنايا العلة والمعلول أو السبب والمسبب ليستدل على صحتها. وهناك بعض من آثر طريق المكابرة والتعصب وأخذ طريق الشك والتردد في طرح الشكوك وإثارة الشبهات لطمس الحقائق وتشويه الحقيقة، متخذ من آيات الله تعالى مرماة لسهام جهله وعناده معتقداً سوف يحجب بذلك أنوار شمس الحقيقة.

كتاب الله تعالى يحمل في طياته دعوة الى ابراز الفطرة والعمل على مقتضاها ليسود

الخير والصلاح في هذه الدنيا، وكذلك يحمل هذا الكتاب الحجج والبراهين الدامغة للوقوف بوجه خصومه، عارضهم بالحجة والبيان بأسلوب مقنع قريب للحس والوجدان باستدلالات محكمة تامة.

لقد تناول القرآن الكريم مجموعة كثيرة من الأدلة والبراهين التي حاج بها خصومه في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة، ورد كثير من الشبهات الفاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب واضح النتائج، سليم التركيب، لم يحتج فيها لأشغال العقل ببحث كبير. على أن القرآن الكريم لم يتخذ طريقة اصطلاحات المتكلمين حينما ساروا في تحصيل المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها، من الاستدلال سواء بالكلي على الجزئي في قياس الشمول، أو حينما أرادوا الاستدلال بأحد الجزأين على الآخر في قياس التمثيل، وكذلك في استدلال بالجزئي على الكلّي في قياس الاستقراء، وإنما أخذ القرآن الكريم طريق الفطرة السليمة وحسب المقتضى ما يؤدي الغرض للوصل الى بيان الحجة وكالاتي:

أ- لأنَّ القرآن جاء بلسان العرب، وخاطبهم بما يعرفون

ب- ولأنَّ الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفس من الإيمان بما تشاهد وتحس من دون عمل فكري عميق أقوى أثراً وأبلغ حجة.

ج- ولأنّ ترك الجلي من الكلام والالتجاء إلى الدقيق الخفي نوع من الغموض والألغاز لا يفهمه إلا الخاصة، وهو على طريقة المناطقة ليس سليماً من كلٍّ وجه، فأدلة التوحيد والمعاد المذكورة في القرآن من نوع الدلالة المعينة المستلزمة لمدلولها بنفسها من غير احتياج إلى اندراجها تحت قضية كلية [٥٠].

قال الزركشي: اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على أنواع البراهين والأدلة جميعاً، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب من دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٥١]، والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم

يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه من أجل صورة تشتمل على أدق دقيق، لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء[٥٢].

وعلى هذا حمل الحديث المروى: (إن لكل آية ظهراً وبطناً ولكل حرف حداً ومطلعاً)[٥٣] وهذا الأمر على خلاف ما ذهب إليه الباطنية، ومتتبع في فنون القرآن ومن حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم من هذا الكتاب أكثر، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافته إلى أولي العقل، ومرة إلى السامعين، ومرة إلى المفكرين، ومرة إلى المتذكرين، تنبيهاً أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥٤] وغيرها من الآيات، واعلم أنه قد يظهر منه بدقيق الفكر استنباط البراهين العقلية على طرق المتكلمين... ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد، بدلالة التمانع المشار إليه في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥٥] لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما، وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض لاستحالة تجزؤ الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أولا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزا' وهذا برهان الفطرة والسليقة السليمة[٥٦].

أنواع من مناظرات القرآن وأدلته:

هناك آيات جاء فيها ذكر أصول العقيدة والكتب السماوية والرسل والانبياء وكذلك جاء فيها ذكر الأحوال الكونية واليوم الآخر ودلت على التفكر والتدبر عن طريق الاستدلال والنظر لهذا الصنع العظيم والخلق البديع ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٥٨).

وكذلك ورد في بعض الآيات ذكر محاججة أهل العناد والخصومة، ولهذا الجانب صور مختلفة:

أ- آيات استدلت بالخلق لإثبات وجود الخالق، وجاءت بطريقة الخطاب الاستفهامي المؤدي الى التسليم بالنتائج كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٥٩).

ب - التذكير بأول الخلق وطريقة امعان النظر بوجود الكائنات على وجه الارض والتذكير المبدأ الأول من جانب والحياة بعد الموت من جانب آخر، وهذا بالتالي يؤدي الى اثبات المآل والمعاد كقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٦٠). وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾(٦١) وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾(٦٢) قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٦٣).

ج- استخدام دعوة المقابل كبرهان لإثبات نقيض ما يدّعي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(٦٤) رداً على اليهود فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا

أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[٦٥].

د- التمثيل ببعض أنواع الخلق بذكر أوصافهم وبيان محدوديتها في مقابل علة العلل من جانب عدم جعلها علة للحكم قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٦٦].

هـ- تذكير الخصم بأن ما يدّعيه ويحاول اثباته سوف يؤدي به الى قول لم يعترف به أحد ولم يشير إليه أحد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦٧] من الواضح بان نفي التولُّد عنه سبحانه بسبب امتناع التولُّد من شيء واحد، لأن من الطبيعي التوالد لا يكون إلا من اثنين، وهو سبحانه لا صاحبة له، وأيضاً فإنه خلق كلَّ شيء، وخلقه لكلِّ شيء يناقض أن يتولَّد عنه شيء، وهو بكلِّ شيء عليم، وعلمه بكلِّ شيء يستلزم أن يكون فاعلاً بإرادته، فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع، فيمتنع مع كونه عالماً أن يكون كالأمور الطبيعية التي يتولَّد عنها الأشياء بلا شعور- كالحار والبارد، فلا يجوز إضافة الولد إليه[٦٨]، علماً ان هناك مناظرات في القرآن الكريم بأنواع واشكال متعددة تعرض لها كمجادلة الأنبياء مع أممهم، أو مناظرة طائفة المؤمنين مع المنافقين، أو محاورات مفترضة تحاكي العقل وتستفزه لتحصيل مراتب اليقين والحقيقة.

حكم المناظرة في الشريعة الإسلامية:

عُرِفتْ المناظرة أو المجادلة في الفلسفة اليونانية باسم: (طوبيقا)، وهي إحدى الصناعات الخمس المهمة التي ينقسم عليها القياس المنطقي، ويتوقَّف فهم هذه الصناعة على مقدمَّات ومبادئ أساس لاغنى عنها لمن يروم الدفاع عمّا يراه جديرا بالدفاع عنه لشتّى الأغراض، سواء أكان ذلك في مجال العقيدة أم لم يكن[٦٩].

إن القياسات الجدلية، التي ينبغي معرفتها في مقام المناظرة أو المجادلة ـ تهدف بالدرجة الأساس إلى تحصيل ما يفحم به الخصم عند المناظرة، وقطع حجته والظهور عليه بين السامعين، سواء أكان ذلك حقا أم باطلاً، إذ ليس الغرض من القياسات الجدلية هو الحق أم الباطل، وإن كان أحدهما داخلاً في طلب ما يفحم به الخصم، إلا أنه لم يكن مُرادا ومقصودا بعينه(٧٠).

وهذا ما يُفَهمُ من تعريف الجدل أيضا، إذ لم يُذكر في التعريف أي شرط يُقيِّد معناه بالدفاع عن الحق مثلاً، ولهذا قالوا: الجدل (صناعة علمية يقتدر معها على إقامة الحجة من المقدّمات المسلّمة على أي مطلوب يراد، وعلى محافظة أي وضع يتفق، على وجه لا تتوجه عليه مناقضة بحسب الامكان)(٧١) . وعليه لا بد من معرفة رأي الشريعة في المناظرة باعتبار أن عليها المعول في أثبات الآراء أو دحضها وهذا بطبيعة الحال ما يتناسب مع راي الدين الذي يدعو للسعي لمعرفة الحق واتباعه .

أقسام المناظرة:

المتتبع لرأي القرآن الكريم والسنة المطهرة بخصوص المناظرة يجدهما مرة يؤيدان المناظرة بضوابط معينة وأخرى ينبذانها باعتبار اذا احرف مسارها سوف تسلك صاحبها الهاوية وعليه فالمناظرة بحسب نظرة الشريعة الإسلامية تنقسم على قسمين وهما:

القسم الاول: المناظرة المشروعة والمؤيده.

القسم الثاني: المناظرة غير المشروعة وغير المؤيده.

القسم الاول: المناظرة المشروعة والمؤيده

حينما أيد القرآن الكريم موضوع المناظرة وضع لها حدوداً وضوابط نظراً لأهميتها، ونجد ذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم، وحين التتبع نجد ان الانبياء والرسل احتاجوا الى جدال أممهم ومحاججة المعاندين منهم، وذلك عن طريق الحوار والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة النافعة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٧٢).

وطبعا دعا الله تعالى أهل الكتاب الى تباع الحق وأمرهم باتخاذ الحجة والجدال النافع

الذي يسلك بصاحبه الى الهداية والفلاح، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٧٣) باعتبار ان الشدة في المناظرة والجدل تؤدي الى العناد والتعصب وسوف تجعل الطرف الآخر ينفر ولا يحب السماع قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٧٤) وهذا الامر مهم جدا لما يمثل من أسلوب سماوي ناظرا الى مصلحة الطرفين من ناحية الدعوة وانقاذ الاخر من العناد، فكانت المناظرة لها أهميتها، ومن الادلة والشواهد القرآنية التي تبيّن مشروعية المناظرة في الاسلام، قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٧٥).

بعد التأمل في الآية نجد مضامينها تشير الى اسلوب رائع ومتين تبرهن فيه على تأثير الدليل وطريقة عرضه، لأن طريقة الحوار النافع والجدال الحسن سوف يجعل الطرف الاخر اقل عناداً وأكثر تفهماً، وهذا ما نراه في المناظرات والجدال الذي أتبعه الانبياء عليهم السلام مع أقوامهم كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع نمرود كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٧٦) وكذلك ما جاء في محاجّة قومه له عليه السلام وجوابه لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي﴾... إلى قوله ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٧٧) ومن الأمثلة للجدال كما في قصة النبي ابراهيم عليه السلام لقومه لما بادر الى تهديم الاصنام لكي يلزمهم الحجة ويدعوهم الى التفكر بالرجوع لفطرتهم كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٧٨).

وهذا الأمر نجده في مجادلة النبي نوح عليه السلام لقومه الذين أصروا على العناد وازدادوا غيّا وفسادا،ونجد ذلك بردهم على نبيهم وهو يجادلهم في الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ

جِدَالَنَا﴾[٧٩].

ومن خلال ما مر يتبين لنا بأن المناظرة أو الجدل مشروعة ومؤيده من الله تعالى ولو لم يكن كذلك لنهى انبيائه عن المناظرة ولما دعى للجدال، بينما نجد القرآن الكريم يزخر بمجادلات الأنبياء لأقوامهم وهم القدوة الحسنة للناس ومن المفروض والواجب اقتفاء أثرهم.

وعليه المتحصل مما مر ينبه الى الواجب لكل من المتناظرين في المجدالة المشروعة ان لا يستهين أحد الطرفين بالاخر ولو كانت آراءه مخالفة للحق ولا يتهمه بالجهل أو الضلالة خلافاً لأدب الحوار والجدال وباعتبار أن أحد المتخاصمين أو المجادلين يدعو الى الفضيلة فلابد خفض الجناح، ألا ترى ان القرآن الكريم استعمل التخيير العقلي المجانب للتفكير الايجابي قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٨٠].

إذا تتبعنا ما انتهجته السنة الشريفة ورأيها وموقفها بالنسبة للمناظرة نجدها تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم، باعتبار هما رافدان يكمل أحدهما الاخر، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٨١].

وهناك شواهد كثيرة اكدة مشروعية المناظرة لما ورد من احاديث وروايات يستنبط منها حلية الجدل أو المناظرة تحت ظوابط شرعية محكمة تؤدي الغرض وتنفع الآخر منها:

ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله - أنه قال: (نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيّا[٨٢] (ومنها: ما روي من مناظرات النبيّ صلى الله عليه وآله مع أهل الأديان وغيرهم، ومما يُروى بهذا الصدد من اجتماع أهل خمسة أديان وفرق - وهم اليهود - والنصارى، والدهرية، والثنوية، ومشركوا العرب عند النبيّ صلى الله عليه وآله، واحتجاج كل فريق منهم لدعواه وجواب النبي صلى الله عليه وآله لهم وإبطاله لمزاعمهم[٨٣]. وهناك روايات كثيرة وردت عن الأئمة عليهم السلام مشحونة بقصص احتجاجهم على خصومهم والمناظرات مع المخالفين من الديانات أو الفرق، وعليه يستشفى منها بأنهم على دراية تامة بمشروعية هذا العمل وللحاجة الضرورية التي تستدعي مناقشة الطرف الاخر بالحسنى وتفهيمه طريق الحق وبيانه بشكل دقيق، فمسلك السنة الشريفة وأقوال وأفعال أهل البيت عليهم السلام بحقيقة المناظرة المشروعة كانت مؤيده لما فيها رد لأقوال

المرجفين وكذلك بيان حال عقائد المخالفين وصد خطر الكافرين والملحدين.

مناظرات في الإمامة:

نتعرض لبعض الروايات عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام الدالّة على ما قدّمنا من مشروعية المناظرة:

منها: رواية الشيخ المفيد بإسناده عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام قال: من أعاننا بلسانه على عدونا أنطقه بحجته يوم موقفه بين يديه عزّ وجلّ(٨٤). ومنها: قول الصادق عليه السلام: حاجوا الناس بكلامي، فإن حاجوكم فأنا المحجوج(٨٥) ومنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي(٨٦) من مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد، حتى أن الامام الصادق عليه السلام أحبّ أن يسمع من هشام نفسه ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد ومع هذا كلّه فقد تخيّل بعض المخالفين أنّ المناظرة محرّمة في رأي أهل البيت عليهم السلام، وأن ما يفعله الشيعة يخالف أمر أئمتهم.

يقول الشريف المرتضى رحمه الله: قلت للشيخ أبي عبدالله: إن المعتزلة والحشوية يزعمون أن الذي نستعمله من المناظرة شيء يخالف أصول الامامية ويخرج عن إجماعهم لأنّ القوم لا يرون المناظرة دينا وينهون عنها ويروون عن أئمتهم تبديع فاعلها وذم مستعملها، فهل معك رواية عن أهل البيت عليهم السلام في صحتها أم تعتمد على حجج العقول ولا تلتفت إلى من خالفها وإن كان عليه إجماع العصابة؟

فقال: أخطأت المعتزلة والحشوية فيما آدّعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا في استعمال المناظرة وأخطأ من آدّعى ذلك من الإمامية أيضا وتجاهل، لأنّ فقهاء الإمامية ورؤساءهم في علم الدين كانوا يستعملون المناظرة ويدينون بصحتها وتلقّى ذلك عنهم الخلف ودانوا به، وأنا أروي لك في هذا الوقت حديثا من جملة ما أوردت في ذلك إن شاء الله، أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمّد (بسنده) عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمدّ عليهما السلام قال: قال لي: خاصموهم وبينوا لهم الهدى الذي أنتم عليه، وبيّنوا لهم ضلالهم وباهلوهم في عَلِيّ عليه السلام(٨٧). إلى غير ذلك من الأدلة والشواهد التي تنصُّ على مشروعية المناظرة على أن التوسُّع في إيراد الشواهد والأدلة على مشروعية المناظرة قد يكون على حساب مادة البحث، إذ فيه الشيء الكثير الذي لا يمكن بموجبه إنكار مشروعية المناظرة

في الاسلام، زيادة على ما كتب من كتب إسلامية في هذا المجال بعض المناظرات التي وقعت بين علماء المسلمين في جوانب شتّى من العقيدة وغيرها، ولعلَّ في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي - أعلى الله مقامه - خير دليل على ذلك(٨٨).

المناظرة غير المشروعة:

بعد ما ذكرنا مشروعية المناظرة بضوابطها الشرعية والمؤيدة بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ص وأهل بيته عليهم السلام، جاء ذكر المناظرة الغير مرغوب بها ولا يعتد عليها ولا يمكن الاتكال لنتائجها الا وهي المناظرة الغير مشروعة وغير مؤيدة، وذلك بعبارة جامعة مانعة وهي أن تكون الدعوة فيها إلى الحق وهو ما عبَّر عنه تعالى بـ سبيل وأن تكون بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة كما في قوله عز شأنه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٨٩)، وحيث إن القرآن الكريم وضع الضوابط والمقاييس للمناظرة المشروعة فإذا تخلَّف عنها ماهو شرط أو شطر خرجت المناظرة عن كونها مشروعة وذلك فيما إذا كانت لإثبات باطل أو للغلبة على الحق أو كانت عن غير علم، ونحو ذلك فهذه المناظرة هي التي لا يرضاها تعالى ولا يقرُّها حتّى لأنبيائه، ومن هذه المناظرات غير المشروعة مناظرات ومجادلات أهل الكتاب والمشركين والمنافقين مع نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وكذا مجادلات الأُمم السابقة مع أنبيائهم عليهم السلام وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النحو من المناظرات والمجادلات غير المشروعة في مواضع شتّى منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ (٩٠).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (٩١).

٣- قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ (٩٢).

٤- قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (٩٣).

٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[٩٤].

٦- قوله تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٩٥].

إلى غير ذلك من الآيات العديدة الأخرى والتي نهت عن مثل هذه المجادلات، باعتبار يبتغى المجادل من ورائها إلا الباطل، فهي إما أن تكون مجادلة في حق قد تبيَّن، وإما أن تكون لإماتة الحق ونصرة الباطل، وإما أن تكون عن جهل وما يستتبعه من عناد وإصرار على الباطل، وإما أن تكون بغير هذا وذاك من الدواعي الأُخرى التي لا يقرها دين ولا يؤيدها وجدان، وحري بالمسلم أن يتبع الحق فالحق أحق بأن يتبع من أي طريق كان[٩٦].

منهج الامام الصادق عليه السلام في الجدال مع الآخر:

بما أن تذاكر العلم فيه نتائج وفوائد كبيرة تغني طالب الحقيقة وتهدي التائه عن ضلالاته، ولا يستكمل هذا الأمر ما لم تكون هناك نزاهة فكرية في استخلاص النتائج لا يقبل الله سواها من عالم أو متعلم يقول عليه السلام: (أطلبوا العلم فأنه السبب بينكم وبين الله)[٩٧].

تتعدد الطرق الى الله تعالى ولكن أوثقها بل أهمّها السبب الوثيق المرتبط بالعلم، لأنه يهيئ الاسباب للوصول بأحسن الأساليب، وكذلك هو يسبب الاسباب التي من شأنها تقوية الروابط، والسبب إلى الله لا يقوى إلا بقلب خاشع، ومن ثمَّ وجب اخلاص النية فيه وصدق الهمة في تلقيه، وقبول حقائقه من دون تلويثها بشوائب الهوى والغرض والعوامل الخارجية، وعليه يكون العبد المدرك لهذه الحقائق، والعامل بها على دراية بمآله وتوجهه لربِّه عن يقين ثابت، فتراه يهيمن على مقدرات النفوس والعقول ويأخذ الصدارة في هذه الدنيا، فيقول الإمام عليه السلام: (الملوك حكام على الناس،والعلم حاكم عليهم.. حسبك من العلم أن تخشى الله، وحسبك من الجهل أن تعجب بعلمك)[٩٨]. وهكذا نراه يرد على من يشكك في التوحيد بقوله حينما ورد خبر له بأن الجعد بن درهم (جعل في قارورة ماء وترابٍ فاستحال دودا وهواما فقال لأصحابه: (أنا خلقت ذلك لأني كنت سبب كونه، فبلغ ذلك جعفر بن محمّد عليه السلام، فقال: ليقل كم هي؟ وكم الذكران منه والاناث إن كان خلقه، وكم وزن كلّ واحدة منهنّ، وليأمر الذي سعى الى هذا الوجه أن يرجع الى غيره، فانقطع

وهرب)[٩٩]. ولهذا حد الجهل ووصفه بقوله عليه السلام:

(الجهل صورة ركّبت في بني آدم، إقبالها ظلمة، وإدبارها نور، والعبد متقلّب معها كتقلُّب الظلّ مع الشمس ثم قال: وأدنى صفة الجاهل دعواه العلم بلا إستحقاقٍ وأوسطُه جهلُه بالجهل، وأقصاه جحودُه العلمَ، وليس شيء إثباته حقيقة نفيه الا الجهل والدنيا والحرص فالكلّ منهم كواحد والواحد منهم كالكلّ)[١٠٠]. والإمام الصادق عليه السلام يستعمل الجدل العلمي في تنبيه المشككين على أنهم في بداية الطريق نحو المعرفة يقول: (أخبرني هل رقيت إلى الجهات كلَّها وبلغت منتهاها؟.... فهل رقيت إلى السماء التي ترى أو انحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في اقطارها؟.... فما يدريك لعلَّ الذي انكره قلبك هو بعض ما لم تدركه حواسك ولم يحط به علمك... أما إذ خرجت من الإنكار إلى منزلة الشك فأني أرجو أن تخرج إلى المعرفة)[١٠١].

لاحظ ان الإمام تدرج بطرق النقاش ووسائل البراهين، اذ بدأ بالجانب المادي الذي يراه أو يلمسه ويتحسسه وأرتقى بفكره الى مكنوناته الداخلية ومشاعره الدفينة، وراح يسحب من نفسه استشعار حواسه ويفتش فيها ويستنطقها لترتفع من عدم الادراك لبعض جوانب الحقيقة بسبب إنكار الحواس لبعض المفاهيم، ولكنها بدأت بمرحلة عدم اليقين بما توصلت اليه وهذه المرحلة مهمة أذ تبدأ معها حالة الشك الذي سوف يكون منطلقاً الى تحصيل المعرفة ولكن بشرط أن يأخذ الشاك حذره ويسير بخطى ثابته ليتوصل الى المعرفة من دون انحراف أو هوى أو اندفاع بوسائل معروفة ومجربة، كان الإمام الصادق عليه السلام يريد الناس أن يسألوا فإذا كنت لا تعلم فعليك أن تسأل ولا تتجمَّد، فأن جهلك ليس عذراً لك أمام الله ما دمت تستطيع أن تحوّل جهلك إلى علم، فالله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٠٢] والحديث يقول: (إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة عبدي أكنت عالماً فأن قال نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت، وإن قال: كنت جاهلاً، قال له أفلا تعلّمت حتى تعمل فيخصمه وتلك الحجة البالغة[١٠٣]. وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١٠٤] إذا كنت تستطيع أن تتعلم فأن جهلك لا يمثل عذراً لك أمام الله، ولذلك قال الإمام عليه السلام: إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون[١٠٥].

وهذا هو الجهل الذي به يهلكون، وذلك لأنهم جهلوا تكاليفهم وجهلوا عقيدتهم فانحرفوا وكانوا قادرين على أن يسألوا أهل الذكر، وأن يسألوا أهل المعرفة، ولكنَّهم غفلوا وتباطؤوا عن ذلك، لهذا نجدهم يتيهون في الأرض ويرتكبوا المعصية من حيث لا يشعرون، انحرفوا عن الحق والاستقامة، وتركوا الصراط القويم، فاثابهم الخسران، لقد كان الإمام الصادق عليه السلام يرشد الى تعليم الناس ويحثُّ على السؤال لكي يكون مفتاحاً للتعلُّم، وكان يجيب على كلِّ الأسئلة التي ترد اليه ولا يضجر منها حيث كان يتحدث مع الناس ويستمع اليهم بكل رفق، السمة التي يتصف بها في هذا الحال هي التواضع للكلِّ وهذه صفة العالم، حيث تراه بخلق سمح يجذبك اليه بكلِّ هدوء تشعر خلالها بالطمأنينة التامّة، وتخرج منه بالنفع واليقين لكلِّ سؤال أو حديث جرى. فمثلاً في أحدى المناسبات تحدّاه أحد الزنادقة بقوله: كيف يعبد الله الخَلقُ ولم يرَوْهُ؟ قال الإمام الصادق عليه السلام: رأته القلوب بنور الإيمان، واثبتته العقول بيقظتها اثبات العيان، وأبصرته الابصار بما رأته من حسن التركيب وأحكام التأليف، ثم الرسل وآياتها والكتب ومحكماتها، واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته من دون رؤيته[١٠٦].

ونلاحظ من جواب الإمام عليه السلام أنه يبدأ بآثار الله عزّ وجلّ التي يراها الناس في نور الإيمان، ويثبتها العقل والبصر، ثم يثني بالرسل اللافتين أنظار الناس إلى آيات الله، وبالنصوص المحكمة التي جاؤا بها، واخيراً يذكر ما يحصله العلم المحدود بما يراه العلماء من آثار ذلك [١٠٧]، ولكن الزنديق يستمر في مجادلته: اليس هو قادر أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفونه فيعبد على يقين ؟ قال الإمام عليه السلام(ليس للمحال جواب (قال الزنديق: فمن أين اثبت أنبياء ورسلاً ؟ قال الإمام عليه السلام: إنا لما اثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا أن يلامسوه....، ثبت أنه له سفراء في خلقه وعباده يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم [١٠٨].

وتكرر مثل هذا السؤال على الإمام عليه السلام عندما طلب واحد من تلاميذه بياناً عن قول أبي شاكر الديصاني أن في القرآن ما يدل على أن الإله ليس واحداً ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[١٠٩] فأجاب الإمام عليه السلام بقوله: (قل له: ما اسمك في الكوفة؟ فيقول: فلان، فقل له: ما اسمك في البصرة ؟ فيقول: فلان فقل له: فكذلك ربُّنا في السماء

إله، وفي الأرض إله، وفي البحار إله، وفي كلّ مكان إله)[١١٠].

كانت هناك انفعالات عند بعض من يمتلكون الجرأة يطرحونها على الإمام عليه السلام بكلّ حرية، فلا نجده ينفعل ولا يضجر، بل العكس نجده يجاوب السائل بكل رفق وهدوء، وفي الوقت نفسه يرشده الى انتخاب الاسلوب الأحسن في السؤال والطرح، لقد كان الانفتاح العلمي للإمام عليه السلام يطمع هذا وذاك بتحيُّن الفرص لإثارة الشبهات وعرضها، الذي كان يقابل هذا العنت بالسخاء، ويستمع اليه بهدوء العالم البصير، فتصور الإمام عليه السلام جالساً إلى جانب بيت الله الحرام وهناك قائل وهو عبد الكريم بن أبي العوجاء يقول له وكأنه يسخر وهو يشير إلى الطائفين في الكعبة: (إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر، إن من فكَّر في هذا وقدَّر، علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر...[١١١].

من الواضح نجد في طيات هذا الكلام أنّه صادر من إنسان حاقد يحمل في جنباته الضغينة على الإسلام والمسلمين، ومن شخصية مريضة لا تقبل النصح ولا الرضوخ للحق وان ثبت عنده، فنجد الإمام عليه السلام يقابل هذا وذاك بكلّ ما يملي عليه تكليفه لتبين الحقائق وإرشاد الأُمَّة الى طريق النجاة، ولهذا نجد الإمام عليه السلام يبتدره قائلاً): أن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء مشيراً لمن في الطواف وهو على ما يقولون فقد سلموا وعطبتم وأن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما - تقولون فقد استويتم وهو فقلت له: يرحمك الله وأي شيء نقول وأي شيء يقولون ؟ ما قولي وقولهم إلا واحداً، فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً ؟ وهم يقولون: أن لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأن في السماء إلهاً وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد.... فقلت له: ما منعه أن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتىّ لا يختلف منهم اثنان.... فقال لي: وكيف احتجب عنك من أراك قدرتك في نفسك، نشوؤك....، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك..... وما زال يعدد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا ادفعها حتىّ ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه)[١١٢].

وهكذا فقد كان الإمام الصادق عليه السلام يتقبَّل كلَّ سؤال يطرح عليه، فمثلاً يأتي اليه شخص يقول له: دلني على معبودي ؟ فيتحدث معه الإمام عليه السلام برفق الكلمة التي يريدها أن

تكون رقيقة في عمق المعنى لتدخل إلى عقله برفق ولتملأ عقله بالفكر، وكان يأتيه بعض الناس ليطرح سؤالاً أشبه بأسئلة التحدي غير العقلاني منها بالأسئلة التي تمثّل جانب الحوار والتعقُّل[١١٣]:هل يستطيع ربُّك أن يدخل الدنيا في بيضة فلا تكبر ولا تصغر الدنيا ؟ وكان رد الإمام عليه السلام لهذا الشخص الذي لا يتحدث بفكر وإنَّما يتحدث بسذاجة أن يفتح عقله، فقال له: تطلع بعينك، ماذا ترى ؟ فقال له: أنني أرى سماءً وأرضاً وجبالاً وأناساً وما إلى ذلك، فقال له الإمام عليه السلام إن الله الذي هو قادر على أن يجعل كلَّ هذا في البؤبؤ قادر على أن يفعل كلّ شيء، ولكن هذا لا يكون، فالبيضة لا قابلية لها أن تحتوي الدنيا، وإذاً فالعجز ليس في القادر ولكن العجز في المقدور، وقال: (أن الله قادر على كل شيء ولكن هذا لا يكون)[١١٤] وتارة أخرى يسأل أحد الاشخاص وهو أبو شاكر الديصاني الإمام، عليه السلام ما الدليل على أن لك صانعاً ؟ فقال الإمام عليه السلام وجدت نفسي لا تخلو من احدى جهتين: (إما أن أكون صنعتها أنا، أو صنعها غيري، فإن كنت صنعتها فلا أخلو من أحد معنيين، إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت عن صنعها، وأن كانت معدومة وانك لتعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت القول الثالث أن لي صانعاً، وهو رب العالمين)[١١٥].

وهنا اثبت الإمام عليه السلام بالدليل المنطقي مبدأ الصانع حصراً لا يمكن إلا التسليم به وكثير من هذه الاسئلة التي كانت تطرح عليه عليه السلام لما يمثل من امتداد لثورة العلم وهو وأهل بيته عليهم السلام قادتها والمتحدثون بلسان كلِّ الانبياء والرسل، وفي ضوء ما تقدم يتبيَّن لنا أن الإمام الصادق عليه السلام كان مع الآخر في طرح افكاره أي مع حرية الفكر الملتزم بقانون العلم والدراية والمتتبع للحقيقة والإيمان، على أن الواجب الرجوع الى مخزن علم الله تعالى وعيبة علمه لما اشار في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١١٦].

وعليه فعلم الامام عليه السلام مرتبط بسلسلة لا يمكن ردّها أو تجزأتها، فهم أعرف بالكتاب والسُّنَّة من غيرهم، وعلومهم التي تفيض هي رشحة من العلم الالهي الذي أنزله الله تعالى على نبيّه ليرشد الناس ويهديهم الى سواء السبيل، لهذا نجد الإمام عَلِيّاً عليه السلام إن ههنا لعلما جما - وأشار إلى صدره - لم أصب له خزنة بلى أصيب لقنا غير مأمون، مستعملا آلة الدين في طلب الدنيا، يستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمة الله على معاصيه[١١٧]، وبما أن

علمهم واحد يتوارثونه نجد الامام الصادق عليه السلام حينما باشر بالقاء الدروس في مدارسه الفكرية تجمَّع حوله كبار العلماء وهم ألوف ينهلون منه العلم الصافي وتنقدح اذهانهم بعلوم لم يكونوا على دراية فيها، وحاول الإمام عليه السلام ان يجعلهم مستقلين فكريا في تفريعاتهم العلمية بعد ان أوصل الى عقولهم القواعد والاصول الاصلية في المعارف، وهو الذي يقول لأصحابه وخاصته من تلاميذه: (علينا أن نلقي الأُصول، وعليكم أن تفرعّوا)[١١٨].

علما بان هذا المنهج امتداد لمسيرة آبائه وأجداده في كيفية تعليم الناس ونقل المعارف لهم، وكذلك سار على هذا المنهج الأئمة من بعده، فكانوا يلقون اليهم الأصول ويتركوا لهم البحث والاجتهاد لاستنباط الفروع في الأحكام الشرعية، وما زال هذا المنهج سائداً في كثير من المدارس العلمية الدينية.

بعض تعاليم الإمام الصادق عليه السلام لتلاميذه لموضوع العلم وجداله:

من المعلوم بأن مدرسة أهل البيت عليهم السلام كانت منظومة معرفية متعددة ومتنوعة لكافة العلوم ولجميع ابوابه، ومنهم الامام الصادق عليه السلام فقد حاول ان يزرع محبة العلم وطريقة تعلّمه وتعليمه في قلوب اصحابه، وركز على الحث والسعي في طلبه ومنها:

ذكر عمرو بن أبي المقدام: بأن الامام عليه السلام قال له: تَعَلَّمُوا الصِّدقَ قَبْلَ الحَدِيثِ[١١٩].

ألا ترى بأن الامام وضع شرط مهم جدا يسبق الحديث ونشره وهي نصيحة كان قد كرر ذكرها لأهميتها، علماً بإنه عليه السلام يوصي أوليائه وكلّ مَن دخل عليه بالصدق وأداء الامانة، ولا بد من اقتران الايمان بالصدق في الحديث والنقل والمخافة الله تعالى قبل كل شيء.

وهناك احاديث أرشد عليه السلام بها إلى طلب العلم، يقول عليه السلام: لَسْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَي الشَّابَّ مِنْكُمْ إلاَّ غادِياً فِي حَالَيْنِ: إمَّا عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً. فَإنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَّطَ، وَإنْ فَرَّطَ ضَيَّعَ، وَإنْ ضَيَّعَ أَثِمَ[١٢٠].

ويقول: اطْلُبُوا العِلْمَ وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالحِلْمِ وَالوَقَارِ[١٢١].

ولم يكتفي بحثّهم على طلب العلم، بل راح يحثّهم على ما يَفترض أن يتزين به من الحلم والوقار، بل التواضع، كما في قوله عليه السلام: وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ العِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا

لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ العِلْمَ، وَلاَ تَكُونُوا عُلَمَاءَ جَبَّارِينَ، فَيَذْهَبُ بَاطِلُكُمْ بِحَقِّكُمْ[١٢٢].

لاحظ الى دقة المعاني ووفرة المعلومات الارشادية التربوية، باعتبار أن العلم لا ينفع صاحبه ولا الناس ما لم يكن مقروناً بالتواضع وحسن الخلق، بغض النظر عمن تحلى به معلّماً أو متعلّماً، ومن الطبيعي بان الناس لتنفر من المتكبر عليهم وخصوصاً اذا كان الموضوع ارشاد وتعليم الاخر، لأنه بهذا التصرف سوف جعل بينه وبين الناس حواجز ضاعت بها مكانته العلمية وقضى على روح القرب منهم.

ويقول عليه السلام في إرشاده لطالب العلم:

وَلاَ تَطْلُبِ العِلْمَ لِثَلاَثٍ: لِتُرَائِيَ بِهِ، وَلاَ لِتُبَاهِيَ بِهِ، وَلاَ لِتُمَارِيَ بِهِ. وَلاَ تَدَعْهُ لِثَلاَثٍ: رَغْبَةٍ فِي الجَهْلِ، وَزَهَادَةٍ فِي العِلْمِ، وَاسْتِحْيَاءٍ مِنَ النَّاسِ، وَالعِلْمُ المَصُونُ كَالسِّرَاجِ المُطْبَقِ عَلَيْهِ[١٢٣].

النواهي الواردة واضحة الدلالة بان هذا الطريق اذا كان السالك به يريد تحصيل المعارف والوصول الى مقاماته لابد من له ان يتحلى بصفات معينة ويجتنب صفات أخرى، فالأمام عليه السلام ينصح طالب العلم باجتناب أمور هي من ضمن عدة محاور تكون باجمعها مسلك في تحصيل العلم، فنصح بترك المرء للرياء أو المباهاة أو المجادلة لما انتفع ونفع، وحتى لو تضرّر وأضرَّ، وكذلك تركه للرغبة في الجهل والزهد في العلم كاشف عن الحمق، ولا خير في حياء يُقيمك علي الرذيلة ويبعد عنك الفضيلة. ولا يكون انتفاع الناس بالعلم إلاّ بنشره. وما فائدة السراج إذا أُطبق عليه.

وبما أن للعلم أوعية ومعادن معينة بارزة فقد نهاهم عليه السلام عن أخذ العلم من غير أهله، فقال عليه السلام: اطْلُبُوا العِلْمَ مِنْ مَعْدِنِ العِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالوَلاَئِجَ فَهُمُ الصَّادُّونَ عَنِ اللَّهِ[١٢٤]

باعتبار ان طالب العلم يتأثر بشكل كبير بمعلّمه، وتتشبّع روحه بتعاليمه، ومن الطبيعي سوف يقلد الطالب استاذه بكل ما يعتقده ويتبناه، وعليه فمنزلة المعلم في حياة طالب العلم كبيرة وخطرة لا بد من الفحص والتأني والروية في اختيار الاستاذ والاتكال عليه الى حد ما.

الإمام الصادق عليه السلام وتكريمه للعلم وللعلماء:

ومما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام حثه على طلب العلم من جهة كذلك ارشد الى ان يعلموا به الناس لما فيه الصلاح والخير، فقال عليه السلام: تَعَلَّمُوا العِلْمَ مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اللَّهُ بِالعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهِ، لاَنَّ العُلَمَاءَ هَمُّهُمُ الرِّعَايَةُ، وَالسُّفَهَاءَ هَمُّهُمُ الرِّوَايَةُ(١٢٥).

وقال: العِلْمُ الَّذِي لاَ يُعْمَلُ بِهِ كَالكَنْزِ الَّذِي لاَ يُنْفَقُ مِنْهُ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِي جَمْعِهِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَي نَفْعِهِ(١٢٦).

وقال: مَثَلُ الَّذِي يَعْلَمُ الخَيْرَ وَلاَ يَعْمَلُ بِهِ مَثَلُ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ(١٢٧).

وقال: إِنَّ العَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ القُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ المَطَرُ عَنِ الصَّفَا(١٢٨).

وقد دلَّهم علي ما يحفظون به ما يتعلّمونه، فقال عليه السلام: اكْتُبُوا فَإِنَّكُمْ لاَ تَحْفَظُونَ حَتَّى تَكْتُبُوا(١٢٩).

وممّا قاله عليه السلام للمفضّل بن عمر: اكْتُبْ وَبُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ فَإِنْ مِتَّ فَوَرِّثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ فَإِنَّهُ يَأْتِي زَمَانُ هَرْجٍ مَا يَأْنَسُونَ فِيهِ إِلاَّ بِكُتُبِهِمْ(١٣٠).

ولم يُرد عليه السلام فضيلة العلم لأهل زمانه فحسب، بل أرادها لكلّ جيل وعصر، كما أنّه ما أوصاهم بالتعلّم إلاّ لان يجمعوا كلّ فضيلة معه، كما ستعرفه من وصاياه، وكما تعرفه من قوله عليه السلام: فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ الحَدِيثَ، وَأَدَّي الاَمَانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ: هَذَا جَعْفَرِيٌّ، وَيَسُرُّنِي ذَلِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرُورُ، وَإِنْ كَانَ عَلَي غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلاَؤُهُ وَعَارُهُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ(١٣١).

إنّ الصادق عليه السلام وآباءه من قبل وأبناءه من بعد جاهدوا في حسن تربية الأُمّة وتوجيههم إلى الفضائل، وردعهم عن الرذائل بشتّي الوسائل. ولكن ما حيلتهم إذا كان الناس يأبون أن يسيروا بنهج الحقّ، وأن يتنكّبوا عن جادّة الباطل؟!

وما حضّ علي طلب العلم إلاّ وحضّ عليى العناية بشأن العلماء والعطف عليهم،

فقال عليه السلام:

ثَلاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَي اللَه عزَّ وَجلَّ: مَسْجِدٌ خَرابٌ لاَ يُصَلِّي بِهِ أَهْلُهُ، وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ غُبَارٌ لاَ يُقْرأُ فِيهِ(١٣٢).

وقال إسحاق بن عمّار الصيرفيّ: قلتُ للصادق عليه السلام: مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ تَعْظِيماً لِرَجُلٍ؟! قال عليه السلام: مَكْرُوهٌ إلاَّ لِرَجُلٍ فِي الدِّينِ(١٣٣).

وقال عليه السلام: مَنْ أَكْرَمَ فَقِيهاً مُسْلِماً لَقِيَ اللَه يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَمَنْ أَهَانَ فَقِيهاً مُسْلِماً لَقِيَ اللَه يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ(١٣٤).

وما أكثر ما جاء عنه عليه السلام في رعاية أهل العلم وتقديرهم، وإكرام العلماء وتوقيرهم، وهكذا كان مجاهداً في تثقيف أتباعه وتهذيبهم وتعليمهم الاخلاق الفاضلة .

الخاتمة:

استعرضنا في هذا البحث بشكل موجز الجدل واساليبه وطرقه بشكل عام وعند الإمام الصادق عليه السلام بشكل خاص وما أثرى به هذا الموضوع لأهميته وخصوصا أنه يدخل في بلورة منهجية معرفية كبيرة تدفع بعجلة الدرس العلمي ومعارفه الى الامام، لقد أثر منهج الامام عليه السلام العلمي والفكري في مسيرة العلم والعقيدة، وحققت نتائج إيجابية عديدة أسهمت في ايصال التحرك الإسلامي الرباني إلي مواقع أكثر تقدُّماً في الأُمّة، فشخصية الإمام الصادق عليه السلام مرموقة عند كلِّ المسلمين ولقد كان يؤدي هذا الدور لا لكونه شخصية اعتيادية ولا لكونه صاحب مذهب نسب إليه، وإنما هو حلقة في سلسلة الأئمّة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام.

ولو نُسب له المذهب الجعفري فإنّ النسبة مجازية لأنه أكمل دور آبائه وأجداده، فهو بحر من العلوم بمختلف أنواعها، ولذا كانت الروايات مستفيضة من تعاليمه ومناظراته ورسائله في مختلف المجالات، ولم يقتصر دور الصادق عليه السلام العلمي على تلامذته من أتباع مذهبه، وإنما كان همُّه إيصال الفكر الرسالي إلى الأُمّة جمعاء، لقد كان الإمام عليه السلام يدعو إلى الإصلاح والإرشاد بمكارم أخلاقه وحسن سيرته وتواضعه وإحسانه، وقد استطاع ببركة وعظه وإرشاده أن ينقذ جماعة ممن أغرتهم الدنيا فضاعوا في متاهتها، فتركوا ما هم فيه وساروا إلى ساحل الأمان.

وما يلحظ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أمر بتدوين الحديث، فكان بحق أوّل من أمر بالتدوين وكذلك التفصيل في الطرق التي توصل الى البحث المنهجي السليم.

أفرزت المدرسة الامام الصادق عليه السلام مجموعة من النظريات المهمة تصلح ان تكون قواعد عامة في التعامل مع الأفكار، كالمنهج العقلي ونظرية التصحيح بكيفية معينة ضمن أطر خاصة تتضمن العرض على القرآن الكريم لمعرفة الصحيح من السقيم بالنسبة للأحاديث وللتفسير.

وكذلك من ضمن منهج عليه السلام جعل حصة كبيرة للتخصص في الجزئيات كما في علم الكلام كالتخصص في التوحيد أو الإمامة أو باقي الفروع، والمتتبع لتاريخ مدرسة أهل البيت عليهم السلام يجد سمة مهمة جداً وهي كثرة تلاميذها بوضوح، ولم يسمع لغيرها مثل هذه الكثرة التي استمرت بتأثيرها إلى يومنا الحاضر، وهذا ان دل فإنما يدل على هيمنة الفكر الرباني الالهي على متبنياتها ومخرجات القيم والمبادئ التي أرادت السماء تبليغها للناس.

فبروز التنوُّع العلمي والشرعي ذي التخصصات المتعددة الذي بدوره أخذ يتطور بمرور الزمن، فأصبح كلُّ فرع من هذه العلوم رأساً بحاله ويحتاج التفرُّغ التام لنيل علومه، وبالتالي كانت هي البذرة الصادقة التي دبت الحياة في جسد الإسلام من جديد.

فطريقة تدريب الطلبة تمنحهم الثقة بالنفس في مواجهة التحديات والمخاطر، وعدم التردد في الإجابة لأنَّ الطالب صار عنده علم بأن الذي منحه إيّاها هو من خزنة علم الله تعالى، وأطلاق الحرية في التفكير والسؤال وهذه الميزة لا تصدر إلا من كان مهيمناً على العلوم ولا يخاف السؤال..

لقد كان لفتح باب الاستنباط الفقهي والعلمي بشكل مدروس دور كبير ومهم وهو الذي ميز هذه المدرسة من باقي المدارس لقرون، أرست طرق عديدة مثلا لتوثيق الرواية والراوي مما جعلها في مأمن في كثير من الأزمان بسبب الدراسات الدينية المعاصرة ما هي إلا امتداد لجامعة الإمام الصادق عليه السلام، إذ ليس هناك انفصال بين المدرسة التي تأسست قبل أكثر من ١٣٠٠سنة وبين الدراسة اليوم، فأحكامها الفقهية وعقائدها الأصولية، واستنباطاتها سواء في اللغة أو التفسير أو الرجال تابع لتلك المدرسة القديمة في التاريخ المتجددة في الازمان.

وبسبب اختلاط المفاهيم والرؤى بين المذاهب والناس انبثقت طرق الجدل وراح أمرها يستشري بشكل إما باحثة عن الحق والحقيقة وإما جهل بعقولهم يراوغون بدون علم، ولهذا كان لموضوع الجدل وطرقه اهتمام كبير و استطاعت مدرسة الامام عليه السلام استيعاب كلّ الانحرافات والميول والدسائس لهذه الشريعة، وهذا ما توارثه اليوم طلاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام فهي ما تزال تواكب كلّ الوسائل الحديثة التي من شأنها تطوير أدائها، ولهذا تعد الدراسات الشيعية من أكثر المعاهد والكليات وباقي الحواضر الدراسية تطوراً في منهجيتها.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين الغرّ الميامين، وأستغفره وأتوب إليه من كلِّ ميل وهوىً إنَّه سميع الدعاء.

هوامش البحث

(١) ينظر، دوايت، رونالدسن، عقيدة الشيعة، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٩٩٠، ص١٤١

(٢) الكليني، محمَّد بن يعقوب، أصول الكافي، ج١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٥٤٥.

(٢) المجلسي، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٧، تح: حسن الخرسان، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨،ص٤.

(٤) الصدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن الحسين بن بابويه، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦، ص ٢٣٤.

(٥) الصدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن الحسين بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤، ص٤٧.

(٦) المجلسي، بحار الانوار ج٤٧، المصدر سابق، ص ١٦

(٧) الحلي، ابن داوود،رجال ابن داود الحلي،تح: محمَّد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدري، النجف، ١٩٧٢،ص٦٥.

(٨) المجلسي، بحار الانوار ج٤٧، المصدر سابق، ص ٢٨.

(٩) الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمَّد بن احمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، ج١، ط١، أوفست، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٦٦.

(١٠) سورة غافر: ٥

(١١) سورة الكهف: ٥٦

(١٢) المعجم: في فقه لغة القرآن وسر بلاغته،ج٩، تأليف: قسم القران بمجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطباعة والنشر، ط٣، ١٤٣، ص١٦١.

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ط٣،طبعة اعتنى بها أمين محمد عبد الوهاب، دار التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ١٠٥.

(١٤) المظفر، محمد رضا، المنطق، دار التعارف، لبنان، ١٩٩٥، ص ٣٣٥.

(١٥) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ، ص ١٩٨.

(١٦) الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات،دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠، ص٧٤.

(١٧) المصدر نفسه، ص٧٥.

(١٨) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي،التفسير الكبير، ج٢٠،ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص ٢١٠.

(١٩) المفيد،محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلم العكبري، تصحيح اعتقادات الإمامية، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣، ص٦٨.

(٢٠) العقائد الإسلامية،أعداد مركز المصطفى صلى الله عليه وآله، ج١، ط١، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ايران،١٤١٩، ص٢١٦.

(٢١) المفيد،تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق، ص٤٢.

(٢٢) سورة النحل: ٢٥.

(٢٣) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢٤) سورة هود: ٣٢.

(٢٥) سورة غافر: ٦٩.

(٢٦) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢٧) سورة الانعام: ٨٣.

(٢٨) سورة الانعام: ١٤٨.

(٢٩) سورة آل عمران: ٦١.

(٣٠) المرتضى: الشافي، ص ١٢.

(٣١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص١٣٦.

(٣٢) المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق، ص٧٢.

(٣٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، مصدر سابق، ص٢٩٥.

(٣٤) ينظر، المفيد: تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق، ص٧٢.

(٣٥) ينظر، المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق، ص٧٢.
(٣٦) سورة الزخرف: ٢٣- ٢٤.
(٣٧) الحر العاملي،محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج٩، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص٤٥٤.
(٣٨) سورة التوبة: ٣١.
(٣٩) المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق، ص٧٢.
(٤٠) المصدر نفسه،ص٧٢.
(٤١) ينظر، الرازي: تفسير الرازي: ج ٢٠، مصدر سابق، ص١٣٨.
(٤٢) سورة النحل: ١٢٥
(٤٣) سورة العنكبوت: ٤٦
(٤٤) الرازي، تفسير الرازي ج٢٠، مصدر سابق، ص١٤٠.
(٤٥) سورة الحج: ٣
(٤٦) سورة الحج: ٨
(٤٧) سورة غافر: ٤
(٤٨) ابن منظور، لسان العرب ج١٥: مصدر سابق، ص٢٧٨.
(٤٩) الجرجاني، التعريفات: مصدر سابق، ص٢٠٩.
(٥٠) ينظر، القطان، منّاع، مباحث علوم القرآن، دار البعث للنشر، الرياض، د.ت، ص١١٣.
(٥١) سورة ابراهيم: ٤
(٥٢) ينظر، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن،ج٢، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٧، ص٢٤.
(٥٣) المصدر نفسه، ص٢٥.
(٥٤) سورة الرعد: ٤
(٥٥) سورة الانبياء: ٢٢
(٥٦) ينظر، الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج٢، مصدر سابق، ص٢٥.
(٥٧) سورة البقرة: ٢١ – ٢٢
(٥٨) سورة البقرة: ١٦٣ – ١٦٤
(٥٩) سورة الطور: ٣٥ – ٤٣.
(٦٠) سورة ق: ١٥.
(٦١) سورة القيامة: ٣٦ – ٤٠.
(٦٢) سورة الطارق: ٥ – ٨.
(٦٣) سورة فصلت: ٣٩.

(٦٤) سورة الانعام: ٩١

(٦٥) سورة الانعام: ٩١

(٦٦) سورة الأنعام: ١٤٣ - ١٤٤.

(٦٧) سورة الأنعام: ١٠٠ - ١٠١.

(٦٨) ينظر، الأصفهاني، محمّد حسين الغروي، نهاية الدراية في شرح الكفاية، ج١، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٠هـ، ص١٨٠.

(٦٩) الحسن، عبد الله، المناظرات في الإمامة، مطبعة مهر، النشر أنور الهدى، ط١، ١٤١٥هـ، ص ٢١.

(٧٠) المصدر نفسه، ص٢١.

(٧١) المظفر، محمد، المنطق، ج٣، مصدر سابق، ص٣٣٥.

(٧٢) سورة النحل: الاية ١٢٥.

(٧٣) سورة العنكبوت: الاية ٤٦.

(٧٤) سورة آل عمران: الاية ١٥٩.

(٧٥) سورة يس: الاية ٧٨ - ٨٢.

(٧٦) سورة البقرة: الاية ٢٥٨

(٧٧) سورة الانعام: الاية ٨٠ - ٨١.

(٧٨) سورة الانبياء: الاية ٦٢ - ٦٧.

(٧٩) سورة هود: الاية ٣٢.

(٨٠) سورة سبأ: الاية ٢٤.

(٨١) سورة النجم: الاية ٣ - ٤.

(٨٢) الطبرسي، أبو منصور احمد بن ابي طالب، الاحتجاج، ج١، مؤسسة النعمان للطباعة، بيروت، ١٩٦٦،ص١٥.

(٨٣) المصدر نفسه: ص٢٢ -

(٨٤) المفيد،محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ط، ص٣٣.

(٨٥) الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد، مصدر سابق، ص٢٧.

(٨٦) الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق،اصول الكافي، ج١،ط٦،دار الكتب الاسلامية، ايران، ١٣٧٥هـ، ص ص١٦٩ - ١٧١.

(٨٧) الحسن، الشيخ عبد الله، المناظرات في الإمامة،مصدر سابق، ص٢٩.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٨٩) سورة النحل: الاية ١٢٥.

(٩٠) سورة المؤمن: الاية ٥.
(٩١) سورة الحج: الاية ٣.
(٩٢) سورة الانفال: الاية ٦.
(٩٣) سورة الشورى: الاية ٣٥.
(٩٤) سورة لقمان: الاية ٢٠.
(٩٥) سورة آل عمران: الاية ٦٦.
(٩٦) ينظر، الحسن، عبد الله، المناظرات في الامامة، ج٤، مصدر سابق، ص ٢٧.
(٩٧) الريشهري، محمد، العلم والحكمة في الكتاب والسنة، ط١، مؤسسة دار الحديث الثقافية، ايران، ١٤٢٠هـ، ص٢١١.
(٩٨) الحر العاملي، وسائل الشيعة ج١، مصدر سابق، ص١٠٥.
(٩٩) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، التوحيد، ط١٠، مؤسسة النشر، ايران، ١٤٣٠هـ، ص١١٥.
(١٠٠) الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الاسلامية ج١: مصدر سابق، ص٣٧٠.
(١٠١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ج٣، ص ١٥٥.
(١٠٢) سورة النحل: ٤٣
(١٠٣) المفيد: محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، د.ت، ص ١١٥.
(١٠٤) سورة الانعام: ١٤٩
(١٠٥) الكليني، الكافي ج١، مصدر سابق، ص ٨٩.
(١٠٦) ينظر، الطبرسي، الاحتجاج ج٢، مصدر سابق، ص ٧٧.
(١٠٧) ينظر، الجندي، عبد الحليم، الامام الصادق عليه السلام، ط٣، مؤسسة انصاريان للطباعة، قم،٢٠٠٧، ص ٢٧٤.
(١٠٨) ينظر، الطبرسي، الاحتجاج ج٢: مصدر سابق، ص ٧٧.
(١٠٩) سورة الزخرف: ٨٤
(١١٠) الحر العاملي، الإثنا عشرية، مصدر سابق، ص ٧٦.
(١١١) الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص٢٥٣.
(١١٢) المصدر نفسه، ص١٢٧.
(١١٣) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(١١٤) الحويزي،عبد علي بن جمعة العروسي،تفسير نور الثقلين،ج١، مؤسسة التاريخ العربي،ط١، لبنان،د.ت،ص ٤٢.
(١١٥) الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص٢٩٠.

(١١٦) سورة النساء: ٨٣.
(١١٧) الحراني، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ، ص١١٣.
(١١٨) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢٧، مصدر سابق، ص٦١. رقم ٣٣٢٠١
(١١٩) الكليني، الكافي، ج٢، مصدر سابق، ص١٠٤.
(١٢٠) المجلسي، بحار انوار، ج١، مصدر سابق، ص١٧٠.
(١٢١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، مصدر سابق، ص٢٧٦.
(١٢٢) الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنة، مصدر سابق، ص٢٥١.
(١٢٣) الحراني، تحف العقول، مصدر سابق، ص ٣١٣.
(١٢٤) النوري، الميرزا، مستدرك الوسائل، ج١٧، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، لبنان، ١٩٨٨، ص٢٨٥.
(١٢٥) المجلسي، بحار الانوار، ج٢، مصدر سابق، ص٣٧.
(١٢٦) الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنة، مصدر سابق، ص٤٤٥.
(١٢٧) المجلسي، بحار الانوار، ج٢، مصدر سابق، ص٣٨.
(١٢٨) الكليني، الكافي، ج١، مصدر سابق، ص٤٤.
(١٢٩) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٨، مصدر سابق، ص ٥٦.
(١٣٠) الكليني، الكافي، ج١، مصدر سابق، ص٥٢.
(١٣١)الحراني، تحف العقول، مصدر سابق، ص ٤٨٧.
(١٣٢)الكليني، الكافي، ج٢، مصدر سابق، ص٦١٣.
(١٣٣) المجلسي، بحار الانوار، ج٢، مصدر سابق، ص٤٣.
(١٣٤) المصدر نفسه، ص٤٤.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآ ن الكريم

١- دوايت، رونالدسن، عقيدة الشيعة، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٩٩٠ .

٢- الكليني، محمَّد بن يعقوب، أصول الكافي، ج١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩ .

٣- المجلسي، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٧، تح: حسن الخرسان، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨.

٤- الصدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن الحسين بن بابويه، علل الشرائع، تقديم محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦.

٥- الصدوق، محمَّد بن عَلِيّ بن الحسين بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤.

٦- الحلي، ابن داوود، رجال ابن داود الحلي، تح: محمَّد صادق آل بحر العلوم، منشورات مطبعة الحيدري، النجف، ١٩٧٢.

٧- الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمَّد بن احمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، ج١، ط١، أوفست، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ .

٨- المعجم: في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ج٩، تأليف: قسم القران بمجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطباعة والنشر، ط٣، ١٤٣.

٩- ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ط٣، طبعة اعتنى بها أمين محمد عبد الوهاب، دار التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٠- المظفر، محمد رضا، المنطق، دار التعارف، لبنان، ١٩٩٥.

١١- الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ، ص ١٩٨.

١٢- الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني، التعريفات،دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠.

١٣- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي،التفسير الكبير، ج٢٠، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ .

١٤- المفيد،محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلم العكبري، تصحيح اعتقادات الإمامية، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣.

١٥- العقائد الإسلامية،أعداد مركز المصطفى(ص)، ج١، ط١، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ايران،١٤١٩،

١٦- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.

١٧- الحر العاملي،محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج٩، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠..

١٨- القطان، منّاع، مباحث علوم القرآن، دار البعث للنشر، الرياض، د.ت .

١٩- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن،ج٢، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٧ .

٢٠- الأصفهاني، محمّد حسين الغروي، نهاية الدراية في شرح الكفاية، ج١، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٠هـ.

٢١- الحسن، عبد الله، المناظرات في الإمامة، مطبعة مهر، النشر أنور الهدى، ط١، ١٤١٥هـ .

٢٢- الطبرسي، أبو منصور احمد بن ابي طالب، الاحتجاج، ج١، مؤسسة النعمان للطباعة، بيروت، ١٩٦٦.

٢٣ - المفيد،محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ط .

٢٤- الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق،اصول الكافي، ج١،ط٦،دار الكتب الاسلامية، ايران، ١٣٧٥هـ.

٢٥- الريشهري، محمد،العلم والحكمة في الكتاب والسنة،ط١، مؤسسة دار الحديث الثقافية،ايران، ١٤٢٠هـ.

٢٦- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، التوحيد،ط١٠، مؤسسة النشر، ايران، ١٤٣٠هـ.

٢٧- الجندي، عبد الحليم، الامام الصادق عليه السلام، ط٣، مؤسسة انصاريان للطباعة، قم،.٢٠٠٧

٢٨- الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، لبنان، د.ت.

٢٩- الحراني،الحسن بن علي بن الحسين،تحف العقول، منشورات المكتبة الحيدرية،النجف، ١٣٨٢هـ.

٣٠- النوري، الميرزا، مستدرك الوسائل، ج١٧، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، لبنان، ١٩٨٨.